

المصدر: المصور

التاريخ: ٥ أكتوبر ٢٠٠١

الأصوات العاقلة محجوبة والحجوة صوته عال

هل تراجع أمريكا الآن سياستها الخارجية .. أم تتظاهر بذلك ؟!

لم يكن من الغريب إذن بعد كل هذا الاستعراض للقوة الأمريكية المسلحة خلال الثلاثة أسابيع الماضية ، وبعد كل الاتصالات المحمومة مع القيادات الدولية التي جرت في واشنطن حيث شاهدنا أهم حلفاء أمريكا على أعلى المستويات من اليابان إلى بريطانيا عبورا بألمانيا وفرنسا ثم في بروكسل حيث شاهدنا نائب وزير الدفاع الأمريكي بول وولفويتز الذي كان يتحرق ويخطط لحرب أوسع نطاقا تشمل دولا بأكملها في مقدمتها العراق، وهو يجتمع مع وزراء الدفاع في حلف الأطلسي يحاول عبثا إقناعهم بتأييد أمريكا لشن مثل هذه الحرب ولكنه يعود مقتنعا بأن حتى الحرب على أسامة بن لادن والعصابات الإرهابية تحتاج إلى تدبير أكبر ووقت أطول وتحديد أوضح وإقناع أكثر لحلفاء آخرين ، قد لا يزالون مترددين في بذل كل مافي قدراتهم من تعاون ، أو يحتاجون لوقت لإعادة ترتيب جبهاتهم الداخلية .

في هذه الأجواء الأكثر تقبلا نسبيا لآراء الغير وصل كل من عاهل الأردن الملك عبدالله ووزير الخارجية المصري أحمد ماهر حيث استقبلهما بترحاب كبير الرئيس بوش نفسه الذي أعلن مكافأة الأردن بعد خطاب كله حماس للإسلام «وقيمة المعادية للحرب والكراهية» بصفقة كان ينتظرها الملك طويلا وهي الموافقة على اتفاق التجارة الحرة بين البلدين . ثم ظهرت كل الصحف الأمريكية وقد حملت صور أحمد ماهر والرئيس بوش يرحب به بوضوح تام.

ويبدو أن صحيفة «الواشنطن بوست» التي اتخذت خطأ ازداد عداؤه منذ ١١ سبتمبر

●● هل هي خدعة من خدع الحرب التكتيكية ؟ أم أن أمريكا اكتشفت كما يؤكد البعض أنها مازالت في حاجة للأدلة التي وعدت بتقديمها للعالم لكي تحصل على تأييد أقوى في حربها ضد الإرهاب ؟ أم أنها اكتشفت أن ما حصلت عليه من أجهزة مخابراتها لا يمكنها بعد من شن الحرب الساخنة التي كانت على وشك شنها خلال الأيام القليلة الماضية ؟ هل هذا هو السبب في أن نائب رئيس لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ السناتور شلبي فتح نيرانه علنا على تينيت مدير الـ «سى . آى . إيه» فخشى الرئيس بوش من تأثير ذلك على الروح المعنوية لشعبه فسارع بالدفاع عن رئيس مخابراته علنا أيضا ؟ أم أن المسألة أعمق من ذلك بكثير ؟ أعتقد أنها كذلك دون التقليل من أهمية العوامل السابقة والتي قد تكون قد لعبت مجتمعة دورا في قرار تأجيل الرد على العمليات الإرهابية التي

تعرضت لها أمريكا فصدمتها وتركبتها حائرة حتى الآن، رغم كل الاستعدادات التي أعدتها بسرعة ، ورغم الإصرار على الانتقام الذي تراه حتى على وجوه الناس العاديين . فقد اكتشفت أمريكا عبثا ما تصورته من أن قوتها الاقتصادية والعسكرية التي لاتضاهيها أى قوة أخرى تؤهلها لقرن آخر من السيطرة الأمريكية مع فارق مهم أنه لم يعد هناك اتحاد سوفياتي يقف عقبة في تشكيل العالم على النحو الذي تريده . مع الأسف الشديد اكتشفت أمريكا فقط بعد هذا الحادث الإجرامى الإرهابى أنها في حاجة إلى العالم بقدر حاجة العالم إليها ، وإلا فإنه من المستحيل عليها بكل ما تملكه من أدوات بطش أن تشن حربا من «هذا النوع الجديد» على عدو دون وجه ودون بلد محدد ●●



رسالة واشنطن يكتبها :

محمد وهبي

الخبر أن المسؤولين بالإدارة قد قرروا السير ببطء في تنفيذ بعض مراحل الحرب على الإرهاب بما فيها مرحلة الهجوم على الدول التي يتهمونها بأنها ترعاها مثل العراق لكي تتمكن من تركيز هجومها على بن لادن . ولعل هذه أول مرة يعترف فيها المسؤولون الأمريكيون علنا بأنهم كانوا يعدون للهجوم على العراق في الوقت نفسه الذي يشنون فيه الحرب على بن لادن.

أما قبل ذلك فكانت هناك على الأكثر تلميحات رسمية وسط عشرات المقالات التي تنشر في الصحف لحث الحكومة على الهجوم على العراق بالذات بجانب تحريض مستمر من جانب إسرائيل واللوبي اليهودي ولوبي جديد يحمل اسم «أخبار العراق» تخصص في متابعة كل ما ينشر ويشير إلى أي شبهة لتورط العراق في أي عدوان أو حتى للإعداد المزعوم لأي عدوان. وتقوم بإدارة هذا اللوبي بالمشاركة مع مجموعة من الصحفيين الدكتوراة لوري ميلروي المحاضرة السابقة في جامعة هارفارد والتي كانت من أكثر المدافعين عن

للعرب لم يرضها هذا الترحاب من رئيس الدولة العظمى الوحيدة بوزير خارجية مصر، فإذا بها تنشر بين عشرات الصور التي التقطها مصورها لهذا اللقاء صورة كبيرة وبالألوان جمعت بين الرئيس بوش وأحمد ماهر وهما جالسان في المكتب البيضاوي وقد انحنى بوش قليلا وهو يمد يده بعفويته المعروفة عنه ليرحب بوزير خارجية مصر وسفيرها السابق في واشنطن، بينما ينظر أحمد ماهر إلى يد بوش الممتدة ويدها مازالتا متشابكتين قبل أن يهب لمصافحة الرئيس الأمريكي بالحرارة نفسها. وقد عبر لي الوزير عن استيائه من خبث الصحيفة بنشرها هذه الصورة «التي لم تمثل أجواء اللقاء من قريب أو بعيد».

ويلاحظ أن الصحيفة كتبت تحت الصورة بالحرف «وزير الخارجية المصري أحمد ماهر الذي زار الرئيس بوش في المكتب البيضاوي والذي يقول إن مصر تحتاج إلى برهان لدور بن لادن في الهجمات»! أما مكان نشر الصورة فقد احتل وسط مقالين يعلن أحدهما نقل السياسة الخارجية الأمريكية من شيشنيا إلى الشرق الأوسط ويعلن الثاني تأجيل الضربة العسكرية.

أما سبب تأجيل الضربة العسكرية ضد بن لادن وأفغانستان التي كانت على وشك الوقوع فهو بسبب النقص في المعلومات الاستخبارية وفي التأييد الذي كان متوقعا من الحلفاء وذلك نقلا عن تصريح لولفوويتز نفسه.

اعتراف أمريكي

وكانت عدة مصادر قد أكدت عشية هذا

ثم يعود كراوتهامر ليناقض نفسه ويقول إن «سوريا إرهابية. ولكن سوريا مرنة . إنها ثمرة على وشك السقوط من فوق الشجرة. ومن ثم يمكن تركها حالياً لتنفيذ المرحلة الثالثة والخطيرة وهي التوجه إلى كل من العراق وإيران. ولكن نظراً لهذه الخطورة «فإنه من الحماقة أن نتولى أمرهما فوراً. فربما يؤدي تغيير نظام الحكم في كابول وتغيير سياسة دمشق إلى تغيير الديناميكيات الإقليمية عن طريق استعراض وإثبات واقع القوة الأمريكية في منطقة تتمتع فيها القوة قبل كل شيء آخر بالاحترام». ثم يقول إن التغيير يمكن أن يأتي من الداخل في إيران أما بالنسبة للعراق فإن «الحرب على الإرهاب لابد أن تختتم في بغداد. أما هوجلاند فهو دائم التذكير للأمريكيين بحتمية الانتقام، ومن ثم فقد نشر آخر مقال له تحت عنوان كبير يعلن «انظروا ماذا فعلوا بنا» وفوقه صورة لمدي الدمار الذي لحق بنيويورك. وهو مثل كراوتهامر لا يألو جهداً للهجوم على سياسة كولين باول «المهادنة» للعرب.

وقد انضم إلى هذا الفيلق من المحرضين المحترفين وولتر لاكير المؤلف الذي حمل أحدث كتبه عنوان «الإرهاب والتعصب وأسلحة الدمار الشامل». فقد نشرت له صحيفة «وول ستريت جورنال» مقالا أكد فيه خطر الانتظار لتشكيل التحالف مع العرب والمسلمين لأن أي تحالف معهم لن يكون أقوى من أضعف حلقاته. «فرغم أن الحكام العرب والمسلمين يكرهون الإرهاب إلا أنهم يخافون من شعوبهم أكثر من خوفهم منه. كما أنه لا يعقل أن تنتظر أمريكا وجود دليل دامغ لبن لادن ، إذ أن الإرهاب لا يركز على المنطق ، ومن ثم فإن محاربته يجب ألا تركز أيضاً على المنطق وعلى اتباع ما يرى على أنه معقول»! فمثلاً

صدام ولكنها انقلبت عليه بعد حرب الخليج، التي ألفت عنها هي وجوديث ميلار الصحفية بالنيويورك تايمز كتاباً بيع منه مئات الآلاف من النسخ حتى قبل أن تجف دماء الجنود العراقيين على الرمال، وهم ينسحبون من الكويت تحت وابل الصواريخ المنطلقة من الطائرات الأمريكية بعد تعرضهم لهجوم وصفه كولين باول رئيس هيئة رؤساء أركان القوات المسلحة الأمريكية في هذا الوقت بأنه أصبح «مذبحة رهيبة» فأوصى الرئيس بوش الوالد بوقفها فوراً فاستجاب له بوش .

التحريض مستمر

ولكن رغم إعلان المسؤولين أن الضربة ضد العراق قد تأجلت ، إلا أن الحملة مازالت مستمرة لتحريض الرئيس بوش على تكملة الحرب التي بدأها والده سنة ١٩٩١ وتركها دون «استكمال هدفها» في الإطاحة بالرئيس صدام. ويتزعم هذه الحملة حالياً بجانب ميلروي، وليام سافاير في «النيويورك تايمز» وتشارلز كراوتهامر وجيم هوجلاند في «الواشنطن بوست». وقد أضاف كراوتهامر سوريا وإيران في آخر مقال نشره ليوضح فيه «خريطة التحرك العسكري في الحرب» القادمة وهي الخريطة التي يوصى الإدارة بتنفيذها . فقال إنه بعد الانتهاء من تدمير طالبان «فإن المرحلة المنطقية التالية يجب أن توجه لسوريا «التي تؤوي العديد من المنظمات الإرهابية كما كانت تؤوي أوجلان زعيم الأتراك الانفصاليين ولم تطرده إلا بعد أن هددتها تركيا باستخدام القوة .

ولكن كراوتهامر استطرد فقال إن «حكام دمشق» عقلاء وإن كانوا لا يترددون في

استخدام الإرهابيين دون اكتراث لأي اعتبارات من أجل خدمة أهدافهم الجيوبوليتيكية. وبناء عليه فقد يمكن إقناعهم بالتخلي عنهم كما فعلت تركيا.

□ المسئولون الأمريكيون يعترفون لأول مرة بأنهم كانوا ينوون ضرب العراق □ أمريكيون يخشون من عمليات انتقامية بعد ضرب بن لادن

هذه الحكمة : «إن كسب مائة نصر في مائة معركة لا يمثل قمة المهارة العسكرية وإنما يمثل هذه القمة إخضاع العدو دون حرب. ومن ثم فإنه يجب أن يكون الهجوم على استراتيجية العدو على رأس أولويات من يتصدى له على أن يلي ذلك العمل على إحداث الفرقة بين صفوف حلفائه . أما الهجوم على جيش العدو فإنه يأتي كأولوية ثالثة.

فهل استمعت أمريكا لهذه الأصوات العاقلة عندما قررت أن تتمهل في إعطاء إشارة بدء الحرب؟ أم أنها كما اعتقد تبينت عدم حماس حلفائها للانجراف وراءها خاصة وهم يعلمون أن هامش الانتباه للأمريكيين عموماً ضئيل للغاية ومن ثم فهم غالباً ما يتسرعون للتصرف داخل هذا الحيز الضيق ثم يندمون. كما أنه تبين للإدارة بعض الثغرات الخطيرة فيما تتلقاه من أجهزة مخابراتها عن الإرهاب وجماعاته. من هنا جاء التمهّل والظهور على الأقل بمظهر المهتم بمشاكل الدول الأخرى التي تطلب تعاونها كما اتضح من الضغوط التي مارستها على شارون لكي يسمح لوزير خارجيته شيمون بيريز بمقابلة الرئيس عرفات في مطار رفح. وكان عرفات قد قبل الاجتماع مع بيريز حتى قبل ذلك تفهماً منه للحقائق الجديدة التي فرضها الإرهاب على الجميع ورغم أن الانتفاضة لم تحقق بعد هدفها بل مع الأسف أصبح تنفيذ تقرير ميتشيل والعودة إلى خطوط ما قبل الانتفاضة أي إلى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٠ هو الهدف لحين إعلان آخر قد لا يأتي وفق رؤية إسرائيل التي تعمل على تنفيذها من الآن قبل انتصار أمريكا المنتظر على الإرهاب بعد سنوات. بعد ذلك فقط قد تقبل إسرائيل كما يؤكد اللوبي اليهودي حالياً بدء مفاوضات الوضع الدائم أو كما قد تعود أمريكا إلى موقفها القديم فتتجمد حدود الدولة الفلسطينية عند الـ ٤٠٪ ؟

فهل نحتاج إلى أكثر من ذلك لنتبين الثمن الذي قد يدفعه الفلسطينيون نتيجة الإرهاب الذي شن على أمريكا؟ بل هل نحتاج إلى أكثر

ضربت أمريكا ليبيا والسودان بالصواريخ رغم أنهما كانتا بريئتين ولكن ماذا كانت النتيجة؟ «لقد أفلست مهنة الإرهاب في البلدين». ومن ثم «فإنه إذا كان ذلك يعني ضرب بغداد فلنفعل ذلك؟ لأنه كما قال سيسرو «دعوهم يكرهونا طالما كانوا خائفين».

أصوات عاقلة

ولكن هل خلت أمريكا من الأصوات العاقلة؟ بالطبع لا . ولكن معظمها مع الأسف محجوبة عن وسائل الإعلام الرئيسية. وقد سبق أن أشرت إلى ما يقوم به من جهود مساعد وزير الخارجية السابق إدوارد ووكر (كان سفيراً في القاهرة وإسرائيل أيضاً) من موقعه الجديد كمدير لأقدم مركز لبحوث الشرق الأوسط (معهد الشرق الأوسط). فقد خلف الرجل عيادته الرسمية وراءه على باب وزارة الخارجية بعد توليه هذا المنصب، وأخذ يتحدث بحرية وجرأة غير مسبقة من أسلافه في المنصب نفسه رغم أنهم كانوا مثله سفراء سابقين. ويمكن القول دون مبالغة بأن شخصيته كلها قد تحولت بعد تركه المنصب الرسمي بحيث بدا وكأنه كان حبيب إيطار حديدى انطلق منه ليجد صوته الحقيقي وليعبر عنه بموضوعية تضيف على ما يدلى به قدراً واضحاً من المصادقية خاصة أنه لا يتردد في توجيه النقد إلى الجانب العربى إذا وجد أن الموضوعية كما يراها تتطلب ذلك. لقد أصبح ووكر يتحدث بصوت عالٍ على بالحيوية بدلاً من صوته الخفيض والممل الذى تعودنا عليه نحن الصحفيين أثناء قيامه بمهامه الرسمية السابقة. لابد كذلك من التنويه بجهود الدكتور مايكل دان رئيس تحرير المجلة الربع سنوية «ميدل إيست جورنال» الذى حرر قبل أيام إجازاً صحفياً تم توزيعه من خلال شبكة الإنترنت تعقيباً على ما جرى من تحريض مستمر فى واشنطن للإسراع بشن حرب شاملة على بن لادن وأفغانستان والدول التى ترعى الإرهاب مستوحياً حكمة صينية جاءت فى كتاب «صن تزو» عن فن الحرب». إذ تقول

من ذلك لنتبين خطورة التحدى الذى نواجهه جميعاً فى منطقتنا بسبب هذا الإرهاب؟ وهل نفهم الآن لماذا كان هذا الموقف المصرى الذى قاوم ضغوط الانجراف وراء لهيب ساعة واشنطن دون أن تظهر مصر وكأنها لا تريد أن تلحق بقطار محاربة الإرهاب؟ لقد قاومت مصر ركوب هذا القطار على عجل حتى لاأخذها إلى حديث يريدونه هم وقد لانريده نحن؟ لقد كان من الأفضل ضم صوتنا إلى حلفاء أمريكا أنفسهم وحلفائنا وأشقائنا العرب لتعطيل القطار لفترة للتمكن من المشاركة بقدر الإمكان فى توجيه مسيرته والعمل على توقفه عند محطات تهم قضايانا قبل وصوله إلى محطته الأخيرة . كما أن أمريكا لم تعلن كما وعدت حتى الآن عن الأدلة التى تدين بن لادن والتى تعطى الضوء الأخضر حتى يمكن للقطار أن ينطلق!

أما الخطاب المكتوب باللغة العربية الذى وجدت ثلاث نسخ منه تضمنت بعض الابتهالات الدينية والإرشادات التى يجب أن يتبعها مختطفو الطائرات لكيلا لا يضعف عزيمتهم على الاستشهاد ومنها ضرورة مقابلتهم لربهم وهم بأنظف ملابسهم ، فهو لايدل على أن بن لادن هو الذى أمر أو رتب لهذا الهجوم . ولم أفهم لماذا أعلن النائب العام الأمريكى أشكروفت أنه وجد صلة مباشرة بين هذا الخطاب وبين لادن . فمن المحتمل كما أعلن البعض هنا أن يكون محمد عطا المتهم بتوجيه الطائرة المستولى عليها لتهدم البرج الأول لمركز التجارة العالمى هو الذى حرر هذا الخطاب . أو ربما كتبه أحد ينتمى إلى إحدى المنظمات فى هامبورج حيث كان يقيم عطا هو وبعض زملائه ، وحيث تتجه أصابع الاتهام الآن بأنها كانت مصدر التخطيط والتنفيذ لهذه العملية. ■